النشر الالكتروني - مجلة الحكمة
رقم : ٤٠/٦٤
تاريخ : ١٤٤٧/١١/٢٦هـ الموافق ٢٠٢٦/٠٥/١٣م

سرقات أبي تمام بين الانحياز والموضوعية

إعداد:
الدكتورة/نهاية بنت محمد العطوي

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فالسرقات الشعرية باب واسع في النقد العربي، وقد اهتم به النقاد اهتماما بالغا لمعرفة القديم والمستحدث لدى كل شاعر، وهذا يتيح لهم الوقوف على الجهد الذي أضافه إلى التراث، وليس هذا فحسب، وإنما تبين لهم أيضا ثقافة الشاعر ومقدار تمثله للتيارات الثقافية، ومعرفة تلك التيارات نفسها، ولعل هذا الموضوع من أحوج الموضوعات إلى الدقة، وأكثرها تطلبا للعدل والإنصاف، ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع والذي يتناول سرقات علم من أعلام الشعر العربي أثار جدلا واسعا في أوساط الساحة النقدية في الأدب العربي.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن السؤال الآتي: ما موقف كل من الصولي وابن المعتز من سرقات أبي تمام؟

ويحاول البحث أن يجيب عن الأسئلة الآتية:

1-ما المفهوم النقدي للسرقات الشعرية في القرن الرابع؟

2- ما أبرز ملامح الحركة النقدية التي أثيرت حول أبي تمام؟

3- ما منهج الصولي ومقاييسه التي سار عليها في نقد سرقات أبي تمام؟

4- ما أبرز آراء الدارسين المحدثين في موقف الصولي من سرقات أبي تمام؟

5- ما منهج ابن المعتز ومقاييسه التي سار عليها في نقد سرقات أبي تمام؟

6- ما أبرز آراء الدارسين المحدثين في موقف ابن المعتز من سرقات أبي تمام؟

ويهدف البحث إلى:

1-الوقوف على المفهوم النقدي للسرقات الشعرية في القرنين الثالث والرابع .

2-.الكشف عن أبرز ملامح الحركة النقدية التي أثيرت حول أبي تمام.

3- التعرف على منهج الصولي ومقاييسه التي سار عليها في نقد سرقات أبي تمام.

4- التعرف على آراء الدارسين المحدثين في موقف الصولي من سرقات أبي تمام.

5- الوقوف على منهج ابن المعتز ومقاييسه التي سار عليها في نقد سرقات أبي تمام.
6- الوقوف أبرز آراء الدارسين المحدثين في موقف ابن المعتز من سرقات أبي تمام .

الدراسات السابقة:

ولست هنا بإزاء الوقوف على الدراسات التي تناولت السرقات الشعرية، وإنما سأذكر أهم الدراسات التي تتقاطع مع موضع البحث بشكل مباشر، ولم أجد في حدود بحثي دراسة قريبة من هذا الموضوع، سوى رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بعنوان:"تطور المصطلح النقدي، دراسة نقدية تناصية لسرقات أبي تمام، من إعداد: أمزيان سهام، إشراف الدكتور: العابدي خضرة، بجامعة وهران، الجزائر.

وهذه الدراسة المقدمة في جامعة وهران تختلف عن دراستي من نواح عدة:

تتبعت الدراسة تطور المصطلح النقدي واستغرق ذلك حيزا كبيرا من الرسالة، حتى إن الحديث عنها جاء في ثلاثة فصول، بينما عرضتُ للمصطلح النقدي للسرقات في القرنين الثالث والرابع بشكل موجز في التمهيد.

-وقفت على منهج الآمدي في السرقات الشعرية من خلال كتابه "الموازنة بين أبي تمام والبحتري"، أما دراستي تقف عند ناقدين مختلفين، وتوضح آراء الدارسين من موقفهما من سرقات أبي تمام.

- وقفت الدراسة عند مفهوم التناص في شعر أبي تمام ، ولم أتعرض في دراستي لفكرة التناص.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي، والذي قامت الباحثة من خلالة باستقراء شواهد السرقات التي وقف عليها كل من الصولي وابن المعتز في شعر أبي تمام؛ بغية الوصول إلى نتيجة وحكم واضح حول موقف هذين الناقدين من سرقاته.

هيكل البحث:

قسم البحث إلى مقدمة وتمهيد، ومبحثين، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: تناولت الأهمية العلمية لهذا البحث، ومشكلته وتساؤلاته، ومنهجه، وهيكلة البحث.

التمهيد: وتناولت فيه:

1- المفهوم النقدي للسرقات الشعرية.

2- ملامح الحركة النقدية حول أبي تمام.

المبحث الأول: موقف الصولي من سرقات أبي تمام.

المطلب الأول: منهج الصولي ومقاييسه النقدية في سرقات أبي تمام.

المطلب الثاني: آراء الدارسين المحدثين في موقف ابن المعتز من سرقات أبي تمام.

المبحث الثاني: موقف ابن المعتز من سرقات أبي تمام.

المطلب الأول: منهج ابن المعتز ومقاييسه النقدية في سرقات أبي تمام.

المطلب الثاني: آراء الدارسين المحدثين في موقف ابن المعتز من سرقات أبي تمام.

الخاتمة: تشتمل على أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد:

أولا: المفهوم النقدي للسرقات الشعرية في القرنين الثالث والرابع:

إن النظر في المفهوم النقدي للسرقات الشعرية، يتطلب منا العودة إلى بداية اهتمام النقاد بهذه القضية، والتأمل فيما قالوها حولها، ولسنا في هذا المقام بصدد تتبع أقوال النقاد، ورصد أقوالهم حول مفهوم السرقات ورؤيتهم النقدية لهذه القضية؛ لذا سأقف عند أبرز النقاد في إشارات سريعة، نرى من خلالها نظرتهم، ومفهومهم للسرقات الشعرية، وكيف تعاملوا معها.

ولم تحظ قضية السرقات الشعرية باهتمام النقاد قبل القرن الثالث الهجري، فلا نكاد نجد مقولات نقدية من العصر الجاهلي، والقرنين الأول والثاني بعد الهجرة سوى إشارات يسيرة إليها، وتمثلت في اتهام بعضهم شاعرا بالسرقة، وافتخار شاعر آخر بأنه لا يسرق من شعر غيره، أما الوقوف على هذه القضية وتتبع السرقات ومقارنة الألفاظ والمعاني، فلا أثر لها في تلك المقولات [1].

ويشير بعض الباحثين إلى أن دراسة السرقات الشعرية دراسة نقدية، لم تظهر إلا مع ظهور الخصومة التي درات حول أبي تمام [2] ويميل إلى هذا الرأي محمد مندور[3].

والصحيح كما ذكر محمد هدّارة، أن دراسة السرقات دراسة نقدية ظهرت قبل وجود الحركة النقدية حول أبي تمام، فإن أول كتاب ألف في السرقات، فيما توصل إليه من خلال بحثه هو " سرقات الكميت من القرآن وغيره" لابن كنّاسة (207هـ) وتبعه ابن السكيت (240هـ) في كتابه:" سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه" ثم أتى بعد ذلك كتاب:" إغارة كثيّر على الشعراء"

---

[11] – ينظر: قطوف من الأدب ، ٥٩.

[2] – ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ١٧٨.

[3] – ينظر: النقد المنهجي عند العرب، ٣٠٧.

للزبير بن بكار القرشي (256هـ)، وهذه الكتب لم تصلنا ومن ثم لا يمكننا معرفة قيمة الدراسة النقدية فيها لقضية السرقات [4].

وقد تباينت مواقف النقاد العرب من هذه القضية اختلافا شديدا، وتفاوتت أحكامهم النظرية في تأصيل قضية السرقات، كما تفاوتت تطبيقاتهم لهذه الأصول النظرية على شعر الشعراء، ويكشف هذا التباين أن قضية السرقات الشعرية لم تكن قضية فنية خالصة، بل كانت – في كثير من الأحيان – مرتبطة بذائقة الناقد وموقفه من الشاعر ومذهبه الفني.

واندرجت السرقات تحت معان كثيرة، ولها أسماء مختلفة اصطلح عليها النقاد فيما بعد، ومن المدلولات الخاصة بالسرقات، والتي استخدمها ابن سلام، وأصبحت بعد ذلك من المصطلحات المتفق عليها بين النقاد مصطلح (الاجتلاب والإغارة) وتنبه إلى فكرة الاقتباس والتضمين، وفكرة المعنى الخاص الذي تداوله الشعراء حتى صار عاما مشتركا[5] وأخرج بذلك كثيرا من المعاني المتشابهة عن حد السرقة.

وقد استخدم الجاحظ لفظ (الأخذ) ويعني يه السرقة، ويبدو أن إشارة الجاحظ إلى السرقات قليلة، وقد جاء ذكرها في أثناء بحثه عن المعنى المبتكر، ضمن حديثه في قضية اللفظ والمعنى[6]. ومن هنا نجد أن قضية السرقات ارتبطت ارتباطا وثيقا بقضية اللفظ والمعنى.

أما ابن قتيبة فقد أشار إلى أن أقبح أنواع السرقات عند النقاد هو (السلخ) [7] كما استخدم – أيضا– لفظي الاتباع والأخذ، إلى جانب استخدامه لفظ السرقة.

وأشار إلى السرقة الخافية، وذلك حين يأخذ الشاعر معنى فيطمس مصدره بطريقة أو بأخرى، وهناك ما يسمى بالسرقة الحسنة وهي أن يأخذ شاعر معنى فيزيد عليه، أو يعيد صياغته بصورة

---

[4] – ينظر: الأبعاد النظرية لقضية السرقات الشعرية، ١٢٦.

[5] – ينظر: طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي،٧٨ .

[6] – ينظر: الحيوان، ٣٣١/٣.

[7] – الشعر والشعراء، ١٣.

أتم وأجمل، وذكر أن الاتباع والأخذ يكونان في الطريقة والنهج الشعري، دون اللفظ والمعنى، يقول عن مسلم بن الوليد:" هو أول من ألطف في المعاني ورقق في القول، وعليه يعول الطائي"[8] .

وتعرّض ابن طبا طبا في كتابه" عيار الشعر" لقضية السرقات، وأباح للشاعر الاقتداء بأشعار الأقدمين، و" ليس الاقتداء بالمسيء، وإنما الاقتداء بالمحسن"[9] ، ويؤكد على ضرورة ألا يغير الشاعر على معاني الشعر فيودعها شعره، ويخرجها في أوزان مختلفة عن أوزان الأشعار التي يتناول منها ما أمكنه، ويتوهم أن تغييره للألفاظ والأوزان مما يستر سرقته، ويوجب له الفضل [10] .

وإذا وقفنا عند الآمدي نجده يُقر على أن السرقة أمر لابد منه، فهي عنده" باب ما يعرى منه أحد من الشعراء"[11]، ويذكر أن السرقة تكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك، ولا يعد سرقة كل معنى مشترك بين الناس وكذلك الألفاظ المتداولة المشتركة التي لا يحق لأحد حق الادعاء بابتكارها [12].

وذهب القاضي الجرجاني إلى أن السرقة" باب لا ينهض به إلا الناقد البصير والعالم المبرز، وليس كل من تعرض له أدركه، ولا كل من أدركه استوفاه وأكمله"[13] وتعدُد طرق السرقة واختلافها من شاعر لأخر، سبب في صعوبة التعرف عليها، وهذا ما جعل القاضي يحدد أنواع السرقة بقوله:"... فتفصل بين السرق والغصب، وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من

---

[8] – الشعر والشعراء، ١٣.

[9] – عيار الشعر، ١٨.

[10] – المرجع نفسه.

[11] – الموازنة، للآمدي ١٢٢/١.

[12] – المرجع نفسه.

[13] – الوساطة بين المتنبي وخصومة، ١٦١.

الملاحظة، وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرق فيه، والمبتذل الذي ليس أحد أولى به، وبين المختص الذي حازه المبتدئ فملكه وأحياه السابق فاقتطعه... "[14]

وقد أفاد من آراء سابقيه من النقاد، فوقف عند المعاني المشتركة التي ذكرها الآمدي، مبينا أنواعها وذاكرا شواهدها، فهناك المعاني المستفيضة بين الناس والتي لا يحق لأحد ابتكارها، كتشبيه الحسن بالشمس، وهناك من المعاني ماكان مبتكرا ثم شاع وصار كالمستفيض، فلا يحق أن يسمى سرقة، كتشبيه الطلل المحيل بالخط الدارس، أما المعاني الخاصة المبتدعة، فهي غير مشتركة، مقرونة بقائلها، فإذا أخذها شاعر متأخر كان سارقا [15].

ثانيا: ملامح الحركة النقدية حول أبي تمام:

استفاد أبو تمام من عصره ومن ثقافته وتياراته، واستطاع وهو الشاعر الناقد أن يهضم ذلك كله، وأن يبدع طريقة جديدة في التعبير الشعري، فسخّر أبو تمام ثقافته الواسعة في خدمة شعره، وكان أساس العملية الفنية عنده متمثلا في نوع من المزواجة بين العقل والشعور، أو بين الفكر والعاطفة، لذلك جاء شعره مشوبا بألوان متباينة من الغموض، الذي يتمثل في عمق الفكرة، وغرابة الصورة ، فأبو تمام لا يستريح إلى المعنى القريب، ولا يطمئن إلى الفكرة السطحية، وإنما يحرص على الغوص داخل الفكرة والتغلغل في أعماقها؛ لأن الشعر عنده عملية عقلية، وكذلك لا ترضيه الصورة القريبة المألوفة المتداولة بين الناس، فنراه يأخذ الصورة القديمة المألوفة ويحوّر فيها ويغير من أوضاعها ويضيف إليها ألوانا مبتكرة حتى تستقيم صورة جديدة غير مألوفه [16]، فـ" شعره لا يشبه أشعار الأوائل، ولا طريقتهم؛ لما فيه من الاستعارات البعيدة، والمعاني المولدة" [17]، ومن هنا استعصى شعره في بعض الأحيان واستغلق على بعض النقاد ، والدارسين الذين لا يدركون آفاق ثقافته.

---

[14] – المرجع نفسه.

[15] – ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه،١٦٣.

[16] – ينظر: الغموض والإبهام في شعر أبي تمام، ٣٦، ٣٧.

[17] – الموازنة١/٤.

وقد حظي أبو تمام باهتمام واسع لدى النقاد القدماء والدارسين المحدثين؛ لكونه صاحب مذهب شعري جديد شغل النقاد والباحثين في القرن الثالث ثم زاد اهتمام النقاد فيه في القرن الرابع، وأثار من الخلاف والجدل مالم يثره غيره؛ لمخالفته مذاهب القدماء، والشعراء العباسيين المعاصرين له، أو الذين تقدموا عليه.

وانقسم النقاد والباحثون حول أبي تمام وشعره بين مؤيد ومعارض، وتباينت وجهات النظر تباينا يدعو إلى التأمل، فكان هناك من يناصره ويرفع منزلته ويدافع عنه، حتى أوصله إلى الزعامة الشعرية، في حين كان له من الخصوم حظا في إغماطه حقه، ومهاجمته، والتحامل عليه، كابن الأعرابي الذي كره أبا تمام وكره ما جاء به من شعر جديد، وقال هو وغيره من المتحاملين: إنه خرج عن عمود الشعر المألوف[18].

أما المبرد فيرى أن لأبي تمام استخراجات لطيفة ومعان طريفة، وشبهه بغائص يخرج الدرر[19]، وقد شهد له بكل معنى عند ابن الأثير[20].

وقيل: إن أصحاب أبي تمام عندما قالوا إن شاعرهم قد اخترع مذهبا جديدا، وأصبح إماما فيه، لم يجد خصوم هذا المذهب سبيلا إلى رد ذلك الادعاء خيرا من أن يبحثوا للشاعر عن سرقاته، ليدلوا على أنه لم يجدد شيئا، وإنما أخذ عن السابقين ثم بالغ وأفرط [21].

وكان الأغلب في جهد نقاد القرن الثالث في مجالسهم وفيما كتبوه عنه من مؤلفات يميل إلى إبراز عيوبه، وقد تحددت تلك العيوب في سرقته لبعض المعاني، وفي تعسفه للاستعارة، وبعض

---

[18] – ينظر: أخبار أبي تمام، مقدمة أحمد أمين.

[19] – ينظر: أخبار أبي تمام،٩٦.

[20] – المثل السائر، ١٣، ١٩٧٣م.

[21] – ينظر: النقد المنهجي عند العرب، ٣٠٧.

وجوه البديع الأخرى، وفي الابتداءت البشعة، وفي استعماله الألفاظ الوحشية الغريبة، وفي استغلاق بعض معانيه، وهذه هي أهم المظاهر التي تناولها بالتفصيل أيضا نقاد القرن الرابع [22].

وكتب أحمد بن عبيد الله القطربلي رسالة بين فيها أخطاءه في الألفاظ والمعاني، وله عدة مؤلفات في النقد، وانفرد الآمدي بذكر مؤلفه في أبي تمام[23] ووصفه بالتحامل عليه، وأنه طعن فيما لا يصح، واحتج بما لا تقوم به حجة، وقد ضرب الآمدي مثالا أورده في الموازنة يبين فيه تحامله على أبي تمام دون أن يدل على وجه العيب [24].

وما كان للخصومة حول مذهب أبي تمام أن تتخذ شكلها النقدي العنيف الذي اتخذته لولا ظهور البحتري، فكان النقاد بذلك أمام نموذجين من الشعر إحداهما يمثل القديم والآخر يمثل الجديد[25]،وتعد زوبعة الخصومة بين الطائيين من أشد المعارك النقدية في ساحة الأدب العربي، وتكمن أهميتها بأنها أساس نظرية "عمود الشعر" وتميزت تلك الخصومة بأحكام نقدية مختلفة فهي تارة تكون داخل أُطر معيارية وتحت سلطة الموضوعية، وأحيانا إيديولوجية تخرج عن الأصول والمعايير النقدية ليدخل فيها الطعن والتعصب من دون الاستناد إلى أساليب مقنعة.

ولعلنا قد أجملنا – فيما سبق–أبرز ملامح الحركة النقدية التي دارت حول أبي تمام وشعره، والتي تعد من أهم الحركات النقدية في تاريخ الشعر العربي، فقد كانت الخصومة حول مذهبه الفني ميدانا لنقاش الكثير من قضايا النقد ومسائله.

---

[22] – ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب،١٤٧، ١٤٨.

[23] – الموازنة ١/١٣٥.

[24] – المرجع نفسه ١/١٣٨.

[25] – ينظر: أخبار أبي تمام، مقدمة أحمد أمين.

المبحث الأول: موقف الصولي من سرقات أبي تمام

المطلب الأول: منهج الصولي ومقاييسه النقدية في سرقات أبي تمام:

مر معنا أن أبا تمام أحد الشعراء الذين شُغِل بهم النقاد والعلماء القدماء، فمن ناظر إلى شعره بأنه مظهر من مظاهر الانتحال والسرقة، إلى ناظر إليه على أنه إبداع ولا يمكن أن يوصف بالسرقة، انطلاقا من كون الشعراء يأخذون من قرائح بعضهم بعضا، وانطلاقا من كون المعاني مطروحة في الطريق وفقا لما ذكره الجاحظ، فالتقاء المعاني بين الشعراء شائع ووارد جداً، وربما لم يكن ذلك عيبا عليهم[26].

من هنا فقد كثرت المؤلفات والمصنفات التي تناولت شعر أبي تمام، منها ما كان يتهمه بالسرقة كما تحدث عن ذلك ابن عمار وابن أبي طاهر، والآمدي، والجرجاني، والمرزوقي وغيرهم، فقد وُضِعت المصنفات في الحديث عن سرقات أبي تمام نفيا وإثباتا كما ينقله لنا إحسان عباس نفسه[27].

ولقد كان الصولي واحداً من أبرز العلماء القدماء الذين تناولوا الحديث عن سرقات أبي تمام في كتابه " أخبار أبي تمام".

ولم ينف الصولي عن أبي تمام تهمة السرقة أو الأخذ عن غيره من الشعراء، بل اعترف بأن المحدثين يسيرون بريح القدماء آخذين معانيهم، ومضمنين لها في أشعارهم، وأن لهم السبق بحق الاختراع، والابتداء والطبع[28].

والمقياس النقدي الذي وضعه الصولي في قضية السرقات مرتبط بقضية التجديد، وهو بهذا يسلك طريق من سبقه من النقاد، فيرى أن الشاعر إذا أخذ معنى، وزاد عليه ووشحه ببديعه، وتمم معناه كان أحق به، ويذكر أن لا أحد يعمل في المعاني ويوشحها ببديعه كأبي تمام، يقول:"وليس أحد من الشعراء – أعزك الله- يعمل المعاني ويخترعها، ويتكئ على نفسه فيها

---

[26]- ينظر: جدلية التاريخ والنقد حول أبي تمام وشعره، ٢١٨.

[27]- ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب،٣٢٤.

[28] - ينظر: أخبار أبي تمام ،١٦.

أكثر من أبي تمام، ومتى أخذ معنى زاد عليه، ووشحه ببديعه، وتمم معناه فكان أحق به وكذلك الحكم في الأخذ عند الشعراء"[29].

ويضرب مثالا لقول أوس بن حجر :

أقُولُ بِما صَبّتْ عَليّ غَمامتي وجهدي في حبلِ العشيرةِ أحطبُ

يقول: إن أبا تمام أخذ هذا المعنى ، وطبعه بطابعه، وأخرجه مخرجا حسنا فكان أحق به من أوس بن حجر ، فقال:

ولوْ كانَ يفنى الشِّعرُ أفناهُ ما قرتْ حِياضُكَ منهُ في العصور الذَّواهبِ

ولكنَّهُ صوبُ العقولِ إذا انجلتْ سحائبُ منهُ أُعقبتْ بسحائبِ

ويتضح من ذلك أن الصولي كان يقف عند المعنى، ثم يوازن بين الشاهدين ليحكم أيهما أجود، ومن أحق بنسبة المعنى إليه.

ونراه في موضع آخر يقارن بين بيت شعر قاله أبو تمام وآخر قاله أبو نواس، والبيتان يصبان في معنى واحد[30]، قال أبو نواس:

جدتَ بالأموال حتى قيل ما هذا صحيح

أما أبو تمام فيقول:

ما زال يهدي بالمواهب دائبا حتى ظننا أنه محموم

يقول الصولي: إن شعر أبي تمام أجود معناه؛ لأن المحموم أحسن حالا من المجنون ،لأن هذا يبرأ فيعود صحيحا كما كان، والمجنون قلما يتخلص من مرضه، فأبو تمام في تشبيهه الإفراط في الإعطاء والبذل بإكثار المحموم، أعذر من أبي نواس إذ شبهه بفعل المجنون؛ فلهذا كان معنى أبي تمام أجود.

---

[29] – المرجع نفسه،٥٣.

[30] – أخبار أبي تمام،٣٢.

ومن النماذج كذلك الرواية التي ذكرها[31] عن أبي بكر المهلبي، قال: كنا في حلقة دعبل، فجرى ذكر أبي تمام، فقال دعبل: كان يتتبع معانيّ فيأخذها، فقال له رجل في مجلسه: ما من ذاك أعزك الله ؟ قال ، قلت:

إن امرأ أسدى إليَّ بشافعٍ إليه ويرجو الشكر مني لأحمقُ

شفيعُك فاشكر في الحوائجِ إنَّه يصوُنك عن مكروهها وهو يُخلِقُ

فقال له الرجل: فكيف قال أبو تمام؟ قال، قال:

فلقيت بين يديك حلو عطائه ولقيت بين يدي مر سؤاله

وإذا امرؤ أسدى إلي صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل: أحسن والله، فقال: كذبت قبحك الله، فقال: والله لئن كان أخذ هذا المعنى وتبعته فما أحسنت، وإن كان أخذه منك، لقد أجاده فصار أولى به منك، فغضب دعبل وقام.

فقال الصولي: وشعر أبي تمام أجود، فهو مبتدئا ومتبعا أحق بالمعنى ،ولدعبل خبر في شعره هذا مشهور أذكره بسبب ما قبله.

و منها- أيضا- قول أبي تمام[32]:

وقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبانُ أَعْلاَمِهِ ضُحىً بِعِقْبَانِ طَيْرٍ في الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ

أقَامَتْ مع الرَّاياتِ حَتَّى كأَنَّهـا مِنَ الجَيشِ إلاّ أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

يقول الصولي: وقد أحسن أبو تمام في هذا المعنى وزاد على الناس بقوله: "إلا أنها لم تقاتل" وقد قال مسلم قبله:

قد عَوَّدَ الطيَر عاداتٍ وَثِقْنَ بها فهُنَّ يَتْبعْنَهُ في كلِّ مُرْتَحَلِ

وأحسن من هذا قول أبي نواس في العباس بن عبيد الله:

---

[31] – أخبار أبي تمام، ٣٥.

[32] – المرجع نفسه، ٢٠.

تَتآيَا الطَّيرُ غَدْوَتَهُ ثقةً بالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهْ

ولا أعلم أحدا قال في هذا المعنى أحسن مما قاله النابغة، وهو أولى بالمعنى، وإن كان قد سُبق إليه؛ لأنه جاء به أحسن، يقول النابغة:

إذا ما غدوْا بالجيشِ حَلَّق فوقهمُ عَصائبُ طَيْرٍ تَهْتدِي بعصائِبِ

جَوانحَ قد أيْقَنَّ أنَّ قَبيلَهُ إذا ما الْتَقَى الْجَمْعانِ أوَّلُ غالبِ

وهو من قول الأفوه الأودي :

فترى الطَّيْرَ على آثارنَا رأىَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمارُ

ونلحظ هنا أنه يجعل أحقية المعنى للنابغة، مع أنه أشار إلى أن أبا تمام قد أحسن في المعنى، وزاد على الناس بقوله: إلا أنها لم تقاتل.

في حين نراه في كثير من المواضع يورد في إشارات عابرة أن أبا تمام يأخذ من أشعار غيره، دون أن يقف على هذا الأخذ، أو أن يعلق عليه، ولعل سبب ذلك أن أكثره جاء في معرض حديثه عن أخذ البحتري من أبي تمام، فيقول[33]، قال أبو تمام:

أوْ يَخْتَلِف ماءُ الوصال فَماؤُنا عذبٌ تَحَدَّرَ مِن غَمامٍ واحدِ

وإنما أخذه أبو تمام من قول الفرزدق:

يا بشر أنت فتى قريش كلها ريشي وريشك من جناح واحد

وقال أبو تمام :

ثَوَى بالمشْرِقيْنِ لهم ضَجَاجٌ ... أَطَارَ قُلوبَ أَهْلِ المغربيْنِ

وإنما أخذه أبو تمام من قول مسلم :

لما نَزَلْتَ على أَدْنَى بِلاَدِهِمِ ... أَلْقَى إليكَ الأقاصِي بالمقاليد

ومن أبرز ما يُلحظ على الصولي في تناوله لسرقات أبي تمام استعماله لعبارات لينة في أحكامه النقدية في التعليق على سرقاته، فلا نجد فيما سبق، استعماله للفظ السرقة، ويدخل

[33] – المرجع نفسه، ٥٠، ٥١، وذكر نماذج أخرى على الطريقة نفسها دون تعليق، ينظر: ص ١١، ٥٢، ٥٣.

في ذلك أيضا تعليقه على بيت أبي تمام إذ يقول في مقدمة قصيدته التي يمدح بها نصر بن سيار:

لا شَيءَ ضائِرُ عاشِقٍ فَإِذا نَأى عَنهُ الحَبيبُ فَكُلُّ شَيءٍ ضائِرُه

نرى أن الصولي والآمدي قد اتفقا على أن أبا تمام كان متأثرًا في بيته هذا بقول توبة بن الحُمَيِّر :

وقال رجالٌ لا يَضيرُكَ نأيُها بلى كلَّ ما شفَّ النفوسَ يضيرها

وكان الصولي أقل حدة؛ إذ قال: " وكأن هذا اللفظ من قول توبة بن الحُمَيِّر الخفاجي"[34]بينما فضل الآمدي أن يكون أبو تمام أخذه من قول توبة السابق وزاد فيه [35].

وعند التأمل في الشواهد السابقة نرى أن الصولي قد وقف على سرقات أبي تمام في المعنى، ومع هذا فلا نستطيع الجزم بعدم تعرضه للفظ؛ لكونه لم يبد تعليقا على كثير من أبياته، وإنما يكتفي بقوله: أخذه من فلان، لكن الظاهر هو أنه أكتفى بالمعنى دون اللفظ.

المطلب الثاني: آراء الدارسين المحدثين في موقف الصولي من سرقات أبي تمام:

تناول الدارسون المحدثون موقف الصولي من سرقات أبي تمام وبيّنوا بعض ما له وما عليه، وفيما يلي سرد لأبرز تلك الآراء.

يبين إحسان عباس أن الصولي حاول أن ينتصر لأبي تمام في كافة مجالات النقد، وليس الأمر مقصوراً على السرقات فحسب، بل إن الصولي رأى أن ينتصر لأبي تمام من الذين عابوا عليه كثيراً من التوجهات، حتى في مجال التدين والإيمان، فكان موقف الصولي متمثلاً بأن الإيمان لا يزيد في شعرية الشاعر ولا ينقص، كما أن الكفر لا يزيد في شعرية الشاعر ولا ينقص كذلك، فكان الصولي متجهزاً للدفاع عن أبي تمام في السرقات وغيرها [36].

---

[34] – شرح الصولي لديوان أبي تمام١/٥٤٩.

[35] – الآمدي: الموازنة ١/ ٨٠.

[36]– تاريخ النقد الأدبي عند العرب،١٥٠، ١٥٢.

يشير الكلام السابق لإحسان عباس إلى أن أبا تمام كان موضعاً للاتهام والعيب في كثير من النواحي، وليس الأمر مجرد اتهام بسرقة بعض الأبيات والمعاني، إنما وصل الأمر ببعض النقاد والعلماء القدماء إلى أن يتهموا أبا تمام في عقيدته ودينه وإيمانه، ففصل الصولي بين الشعر والإيمان فصلاً مطلقاً، وبين أن الإيمان لا يزيد في شعرية الشاعر ولا ينقص كما أن الكفر كذلك.

هذا يقودنا إلى القول بأن ما جاء به إحسان عباس من وصف لموقف الصولي من أبي تمام متمثل بتلك الحالة الدفاعية التي توجه نحوها الصولي، ولم يقصر دفاعه عن أبي تمام على السرقات فحسب، بل إنه دافع عنه حتى في نسبه الذي طعن به بعض الباحثين.

ويثني شوقي ضيف على كلام إحسان عباس السابق، فيبين أن الصولي هو أحد الذين انبروا للدفاع عن أبي تمام في وجه النقاد الذين حاولوا النيل من إبداع هذا الشاعر، وأرادوا التقليل من شأنه، فكان الصولي أبرز من دافع عن أبي تمام عموماً، يتبعه في ذلك المرزوقي[37].

بمعنى أن النقاد والدارسين المحدثين رأوا أن الصولي يقف إلى جانب أبي تمام، وينفي ما استطاع أن ينفيه عنه من تهمة السرقات انتصارا لهذا الشاعر.

وقد رأى الدكتور أحمد كمال زكي أن الصولي حينما انبرى للدفاع عن أبي تمام والدفاع عن الأشعار التي اتُّهم بأنه قد سرقها، ربما كان بدافع رسالة ابن المعتز التي بيّن فيها مساوئ أبي تمام، فإن الصولي لما رأى تلك الاتهامات تنهال على أبي تمام كتب أخبار أبي تمام ليرد على من قال بسرقاته، ودافع عن كثير من المواضع التي اتهم فيها بسرقة اللفظ أو المعنى[38].

أي إن الدافع الذي دفع الصولي للوقوف إلى جوار أبي تمام، ونفي تلك التهم التي اتهم بها من السرقات كان تلك الرسالة التي كتبها ابن المعتز في بيان مساوئ أبي تمام، فالصولي لم يقتنع تماماً بما قاله ابن المعتز في سرقات أبي تمام، فرأى أن يضع هذا الكتاب: أخبار أبي تمام ليدافع عنه.

---

[37]- ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي،٢٦٦.

[38]- ينظر: ابن المعتز العباسي، ٢٦٦.

ويؤكد الباحث الدكتور ياسر عبد الحسيب رضوان أن الصولي كان أقل حدة في أحكامه التي كان يصف بها شعر أبي تمام المتعلق بالسرقات، فصحيح أنه قد اتفق مع الآمدي أن بعض الأبيات التي قالها أبو تمام إنما هي مسروقة، غير أنه من جانب آخر لم يستعمل عبارات شديدة الحكم على أبي تمام، فكان يقول مثلاً: وكأن هذا البيت شبيه ببيت فلان، أو وكأنه من لفظ فلان، فهذا حكم فيه شيء من الميل إلى أبي تمام، وعدم اتخاذ جانب الحدة في الوصول إلى الحكم على شعره[39].

هذا يعني أن موقف هذا الباحث من الصولي ومنهجه في التعامل مع سرقات أبي تمام متمثل بعدم إنكار الصولي لسرقات أبي تمام جملة وتفصيلا، بل إنه – أي الصولي – قد يتفق مع بعض النقاد السابقين أو اللاحقين في الحكم على المعنى أو اللفظ بأنه مأخوذ من فلان أو فلان، غير أن العبارة التي نُقِلت عن الصولي ليست حادة كعبارة الآمدي مثلا، فالآمدي كان يقول إن أبا تمام قد سرق هذا المعنى من بيت فلان، وأخذه من بيت فلان، في حين كانت عبارة الصولي أخف وطأ فقد كان يقول عبارة: كأنه شبيه بلفظ بيت فلان، وهكذا فقد كان موقف الصولي مائلا إلى أبي تمام على حساب مخالفيه.

وبناء على استقراء هذه الآراء لأهم النقاد والدارسين المحدثين في موقف أبي بكر الصولي من سرقات أبي تمام فإنه يمكننا أن نبين النقاط الآتية التي أشار إليها هؤلاء الدارسون:

1 – كان أبو بكر الصولي متشبعا بحب أبي تمام، متجهزاً للدفاع عنه، سواء أكان ذلك الدفاع متعلقاً بالسرقات الشعرية، أم متعلقا ببعض ألوان البديع، أم حتى متعلقا بنسبه وبعض تفصيلات حياته، فالأساس الذي يسير عليه أبو بكر الصولي يتمثل بالدفاع عن هذا الشاعر أياً كانت التهمة التي تلصق به.

2 – ربما كان الصولي مبالغا في دفاعه عن أبي تمام، إذ أظهر بعض مظاهر التحيز تجاه هذا الشاعر، فعلى الرغم من إقراره بأن بعض الأبيات مسروقة عند أبي تمام، إلا أنه جعل التعليق على مثل هذه الأبيات بصيغة لينة بعيدة عن الشدة والتلفظ بالسرقة، فكان ذلك أدعى إلى

[39]– ينظر: جدلية النقد والتاريخ حول أبي تمام، ٢٧٢.

القول بأن الصولي كان متحيزا لأبي تمام، متغاضيا حتى عن الأمور التي يُسلّم فيها بأنه قد سرقها.

3 – نحا أبو بكر الصولي في نظرته إلى سرقات أبي تمام منحيين هما:

أ –نفي سرقة الموضع الشعري جملة وتفصيلا، بمعنى أنه أبعد السرقة عن أبي تمام، ورأى أن المعاني عامة بين الشعراء، ولا يزال الشاعر يستعين بقريحة الآخر، من هنا فلم يعد بعض الأبيات من قبيل السرقة.

ب – أما الأبيات التي لم يستطع نفي سرقتها؛ لما في بيت أبي تمام من قرب في المعنى واللفظ من بيت آخر فإن الصولي انتقى عبارات مهذبة في الحكم على أبي تمام، ولم يكن حاداً في تلك العبارات التي أطلقها إذا قورنت تلك العبارات بما كان يقوله الآمدي مثلا عن أبي تمام.

4 –ربما كانت رسالة ابن المعتز في بيان مساوئ أبي تمام ومحاسنه أحد الأسباب التي دفعت الصولي للدفاع عنه، وذلك ضمن كتابه "أخبار أبي تمام"، فربما رأى في تلك الرسالة تجنياً على أبي تمام، فأراد أن يدفع تلك التهم عن هذا الشاعر.

فقد أجمع النقاد السابقون أن أبا بكر الصولي، قد كان منحازا لأبي تمام مدافعا عنه في سرقاته، بل في جميع التهم التي وجهت إليه!

والباحثة من خلال وقوفها على النماذج التي أوردها الصولي في سرقات أبي تمام، لا تستطيع إلا أن تقول ما قاله النقاد من أن هناك ميلا واضحا من الصولي إلى أبي تمام وشعره!

المبحث الثاني: موقف ابن المعتز من سرقات أبي تمام.

المطلب الأول: منهج ابن المعتز ومقاييسه النقدية في سرقات أبي تمام :

يعد عبد الله بن المعتز من أوائل النقاد العرب الذين تناولوا شعر أبي تمام بالبحث والدراسة والتحليل، حيث تناول ابن المعتز شعر أبي تمام في أربعة من مؤلفاته وهي: كتاب البديع وكتاب طبقات الشعراء وكتاب السرقات والرسالة التي خصصها لبيان محاسن شعر أبي تمام ومساوئه.

لقد وضع ابن المعتز معيارا فنيا لقياس السرقة، إذ يقول: ولا يعذر الشاعر في سرقاته حتى يزيد في إضاءة المعنى، أو أن يأتي بأجزل من الكلام الأول، أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه، ولا يفتضح به، وينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه لا فقير إليه[40]، ونجده هنا قد وضع معيارا فنيا لقياس السرقة الجيدة، وهي بالأخذ الحسن.

وفي ذكر ابن المعتز لنماذج سرقات أبي تمام لا يعلق في كثير من الأحيان على الأبيات التي يوردها، وإنما يكتفي بإيراد البيت لأبي تمام ويقول: وهو مسروق من كذا، ثم يورد البيت المسروق منه[41]، ومثال ذلك:

أورد ابن المعتز قول أبي تمام[42]:

من شرَّد الإعدام عن أوطانه بالبّذْل حتى استُطرِفت الإعدام

وعلق عليه: وسرق هذا المعنى من الأعشى إذ يقول:

هم يطردون الفقر عن جارهم حتى يرى كالغُصُن الناضر

وقال الطائي[43]:

---

[40] – الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ٣١٢.

[41]– ولمزيد من الشواهد، ينظر: رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه،٣٠٨، ٣٠٩، والموشح ،٣٨٢.

[42] – رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه، ٣٠٦.

[43] – المرجع نفسه،٣٠٨ .

أبا جعفر إن الجهالة أمُّها ولودٌ وأم الحلم جدّاء حائل

وسرق هذا المعنى من قول الشاعر:

بُغاثُ الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مِقْلاتٌ تزُورُ

وقال الطائي[44]:

ورَكْبٍ يساقون الركاب زجاجة من السَّير لم تقطِبْ لها كفُّ قاطب

سرقه من قول أبي نواس:

رَكْبٌ تساقوا على الأكوار بينهم كأسَ الكرى فاستوى المسقيُّ والساقي

ونجد في بعض الحالات وبقلة نادرة جدا يقارن ابن المعتز بين أبي تمام والأبيات والأقوال التي يرى أن أبا تمام قد سرق معانيه منها. ومن الأمثلة التي أوردها ابن المعتز على هذا النوع عندما ذكر قول أبي تمام [45]:

إذا أثلج في حرّ الهجيرة لم يَذْب من الصفِّ والصِّنْبر ذابت فوائده

يعلق عليه بقوله: وسرق هذا المعنى من قول آخر: ما أجمد في حق، ولا أذوب في باطل، فأساء في السرقة وشوّه المعنى.

وكذلك عند أورد قول أبي تمام[46]:

رقَّتْ جواهرُ أجناس الغزال فلو ملكْته لشربتَ الخشف في الكاس

فيقول: فانظر ما أبغض قوله "الغزال" وقال ها هنا "الخشف" في بيت واحد، وإنما سرق المعنى من قول أبي العتاهية لمخارق، وقد غنّى:

---

[44] – المرجع نفسه،٣١١.

[45] – المرجع نفسه، ٣٠٣، ٣٠٤.

[46] – رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه،٣٠٥.

رققت حتى كدت أن أحسوك

ومن أمثلته أيضا ما وصف به أبي تمام الفرس[47]:

إمليسُهُ إمليدُه لو عُلِّقتْ في صهوتيه العينُ لم تتعلَّق

فسرقه من امرئ القيس، حيث يقول:

متى ما ترق العين فيه تسفّل

وبيت امرئ القيس أصح معنى، لأنه أراد أن العين إذا صعدت فيه صوبت إشفاقا عليه من ان تصيبه، خبرني بذلك أبو سعيد وأراد الطائي: أن العين لا تتعلق به من انتقال لونه واملاسه، فأفرط ولم يصنع شيئا.

ويورد مثالا من الحديث النبوي، ويعيب على أبي تمام هذه السرقة، يقول ابن المعتز: قال الطائي[48]:

جَلا ظُلُماتِ الظُّلمِ عَن وجهِ أمَّةٍ أضاءَ لَها من كوكبِ الحقِّ أَفْلُهُ

سرقه من قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "الظلم ظلمات".

إذ نلحظ أن ابن المعتز قد أعاد هذا المعنى إلى حديث النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – على الرغم من أننا لا نرى في المعنيين كثير قرب، فهل ذكره للظلم مجرد الذكر يعد سرقة.

وإذا كنا قد لحظنا في المبحث السابق أن الصولي يستعمل الألفاظ اللينة في الحكم على سرقات أبي تمام، فإننا هنا نرى أن ابن المعتز يستعمل لفظ(السرقة) ولم ترد معنا من خلال الشواهد التي وقفنا عليها أنه قال: أخذه من قول فلان.

المطلب الثاني: آراء الدارسين المحدثين في موقف ابن المعتز من سرقات أبي تمام .

---

[47] – المرجع نفسه، ٣٠٧.

[48] – رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه، ٢٩٥.

تعد رسالة ابن المعتز في محاسن شعر أبي تمام ومساوئه أول أثر نقدي تناول شعر أبي تمام، ولعلها السبب وراء انبراء أبي بكر الصولي لدفاعه عن أبي تمام من خلال كتابه "أخبار أبي تمام". ويمكن أن يكون الآمدي استند إلى هذه الرسالة في نقد شعر أبي تمام، كما استند إليها الجرجاني في وساطته.

ويقول عبد الكريم الحبيب محقق رسالة ابن المعتز: يمتلك ابن المعتز ذوقاً نقدياً متميزاً وحساً شعرياً مرهفاً، فهو شاعر وأديب، يعرف خصائص الشعر الجيد وميزاته وطريقة صناعته، غير أنه لا يتورع عن إطلاق أحكامه النقدية مندفعا بدوافع شتى، وخاصة عند حديثه عن أبي تمام باعتباره رأس الشعراء المحدثين اهتماما بمذهب البديع، فهو دائم الحديث عنه والتجني عليه"[49]. ويضيف: "إن سبب تأليف هذه الرسالة هو إظهار عيوب أبي تمام وسرقاته، وهذا هو السبب الذي دفعه إلى تتبع سرقات الشعراء بمن فيهم أبو تمام في كتاب خاص يعرف بذلك الاسم وهو مفقود"[50].

وقد رأى عبد الكريم الحبيب أن ابن المعتز تحامل كثيرا في حكمه على أبي تمام في السرقات، فيقول: "وللطائي سرقات كثيرة أحسن في بعضها وأخطأ في بعضها". ويقول:" ولما نظرت في الكتاب الذي ألفه في اختيار الأشعار وجدته قد طوى أكثر إحسان الشعراء. وإنما سرق بعض ذلك، فطوى ذكره، وجعل بعضه عُدة يرجع غليها في وقت حاجته، ورجاء أن يترك أكثر أهل المذاكرة أصول أشعارهم على وجوهها، ويقنعوا باختياره لهم، فتغبى عليهم سرقاته، ولا يعذر الشاعر في سرقته حتى يزيد في إضاءة المعنى أو يأتي بأجزل من الكلام الأول، أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه، ولا يفتضح به، وينظر إلى ما قصده نظر مستغنٍ عنه لا فقير إليه"[51].

---

[49] – رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه، ٢٩٠.

[50] – المرجع نفسه.

[51] – رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه، ٣٠٢.

يتضمن كلام ابن المعتز هذا على سرقات أبي تمام تهمة خطيرة، مفادها أن أبا تمام استثنى كثيرا من عيون شعر من اختار لهم في حماسته، كي لا يفتضح أمره وتنكشف سرقاته منهم، يقول زكي مبارك في الرد على قول ابن المعتز: "إنه يتعذر على النقاد المفاضلة الدقيقة بين قصائد لشاعر أو أكثر، بسبب تعذر إيجاد معايير قياسية ثابتة ومتماثلة يمكن اتباعها في هذا الشأن، فاختلاف الأذواق أمر بديهي، وينبغي ألا يطلب ابن المعتز أبا تمام ليكون مماثلا له في الذوق والاختيار، فيستحسن ما يستحسنه هو، ويستقبح ما يستقبحه. ولو رجعنا إلى قصة تأليف أبي تمام حماسته لعثرنا على دليل آخر يضعف ما ذهب إليه ابن المعتز، فأبو تمام ترك مختاراته عند بني سليم زمنا طويلا، وما أخرجوها إلا بعد أن ساءت أحوالهم، فذاع خبرها واشتهرت منذئذٍ، وفي هذه الفقرة تجنٍّ شديد على أبي تمام، وإزراء بإحسانه في تأليف مختاراته وما أحسب الخاطر الذي مر ببال المرزباني مر ببال ناقد شريف القصد"[52].

أما الدكتور إحسان عباس فقد رأى في نقد ابن المعتز وموقفه من السرقات الشعرية موقف الناقد الانطباعي، فإن ابن المعتز يرى بأن أشعر الشعراء الذي أنت في شعره حتى تفرغ منه، فهو لم يكن متحيزا ولا متعصبا لشاعر دون آخر، بل حاول أن يأخذ الموضوع من طرفيه، ويتناول المحاسن والمساوئ دون أن يحمل في نفسه تفضيلاً لشاعر دون آخر[53].

ويتابع إحسان عباس الحديث عن منهج ابن المعتز في نقده لأشعار أبي تمام وما وجده فيها من السرقات، فيبين أن ابن المعتز في رسالته التي كتبها في أبي تمام حاول أن يبيّن للمتلقي أنه يأخذ جانب الموضوعية في الحكم على سرقات الرجل، من هنا قسمها إلى مآخذ ومحاسن، محاولاً بذلك لفت انتباه المتلقي إلى أنه لا يقصد البحث في المساوئ دون المحاسن، إلا أن ما وصلنا من هذه الرسالة ليس إلا المساوئ، ولم يصلنا حديث ابن المعتز عن محاسن سرقات أبي تمام، ثم يبين إحسان عباس أن تلك الأحكام التي نراها في رسالة ابن المعتز عن أبي تمام تصل

---

[52] – النثر الفني في القرن الرابع، ٢٣٥.

[53]– ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ١١٥.

في بعض الأحيان إلى حد التحامل عليه، والاتهام المجحف أحيانا، إذ كان يقال إن أبا تمام قد أخفى الأشعار التي سرق منها، وذلك عند تصنيف مختاراته كي يخفي سرقاته[54].

نلحظ أن رأي الدكتور إحسان عباس تجاه منهج ابن المعتز وموقفه من سرقات أبي تمام مرتكز على جانبين اثنين:

الأول: محاولة ابن المعتز إقناع المتلقي أنه يأخذ جانب الموضوعية في الحكم على سرقات أبي تمام، من هنا قسم رسالته في هذا الشأن والخصوص إلى قسمين مآخذ ومحاسن، وهو ما لم يصلنا منه سوى المآخذ.

ويقول محمود الربداوي في حكمه على نقد ابن المعتز لأبي تمام: يعد ابن المعتز ناقدا منصفا، لكونه نقد المحاسن كما نقد المساوئ، وابتعد عن الأحكام العامة، وقوم المحاسن ووزنها وعللها، وعرض للمساوئ ونقدها وبين استهجانه لها، يعزز ذلك أنه قرظ أبا تمام وذكر كثيرا من محاسن شعره في مواطن كثيرة [55].

أما نعيم كساب فيقول في آراء ابن المعتز النقدية التي تناولت سرقات أبي تمام: "ويبدو لنا من خال عنوان الرسالة أن ابن المعتز لا يبتغي إلا الانصاف والعدل والموضوعية في إيراد محاسن شعر أبي تمام ومساوئه، ويصرح بأن أبا تمام بلغ الغاية في المحاسن كما بلغها في المساوئ، وأورد شواهد كثيرة تبين معايب الرجل وإخفاقاته... واتبع ملاحظات هي في جملتها شديدة القسوة مع أنها خالية من التفسير والتحليل والتعليل"[56].

ويقول السريحي :" نرى أن ابن المعتز في نقده لأبي تمام مستحسنا ومستهجنا، إنما كان مخلصا لثقافة عصره النقدية، مستسلما لمعاييرها في الحكم على الشعر والشعراء، وكثيرا ما تحمله هذه المعايير على أن يعيب بقسوة، أو يرفض بشدة، غير أن إحساسه كشاعر لا يلبث أن يتحرك، فيعترف أن أكثر ما يدعو إلى تأخير أبي تمام عن منزلته، إنما هو اللجاج، ثم يطلق

---

[54]– المرجع السابق، ١١٩، ١٢٠.

[55] – الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام: تاريخها وتطورها وأثرها في النقد العربي،١٨٢.

[56] – ابن المعتز: شعره في ضوء عصره وحياته وآرائه النقدية،٥٩.

أحكاما تعميمية تأثرية يعلن فيها عن أن شعر أبي تمام حسن كله، وأن أكثر ماله جيد، وأن شعره لا يخلو أبدا من المعاني اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة، ثم لا يرى وسيلة تكشف عن حسن هذا الشعر وجماله سوى الوقوف على الشعر نفسه، ولهذا كانت وسيلته في إفحام من يحاورهم هي رواية شعر أبي تمام على مسامعهم، دون اللجوء إلى المعايير النقدية البلاغية، وما تفتت إليه الشعر من ألوان وأجناس بديعية" [57].

يفهم من الكلام السابق الذي أوردته السريحي أن الثقافة النقدية في عصر ابن المعتز هي التي ألزمته على أن يعيب على أبي تمام بقسوة، في حين أن حسه الشعري يدفعه إلى الاعتراف بأن أكثر ما يدعو إلى تأخير أبي تمام إنما هو اللجاج، فهو مقر في داخله معترف بأن أكثر شعر أبي تمام جيد دون اللجوء إلى المعايير النقدية!

ويمكننا أن نجمل الآراء السابقة فيما يأتي:

1- إن ابن المعتز كان متحاملا في حكمه على سرقات أبي تمام، وأُستدل على ذلك بقول ابن المعتز بأن الطائي أخفى أكثر سرقاته حتى لا يفتضح أمره.

2- إن ابن المعتز بدا متحاملاً متهماً مجحفاً لأبي تمام في كثير من المواضع، على الرغم من الموضوعية المدعاة في تصنيفه للمصنفات التي تناولت موضوع السرقات.

3- كان ابن المعتز منصفا في نقده؛ لأنه نقد المحاسن كما نقد المساوئ، وابتعد عن الأحكام العامة، وقوم المحاسن ووزنها وعللها، وعرض المساوئ وبيّن استهجانه لها، وإن عنوان رسالته يُظهر أنه لم يرد إلا الإنصاف، وأنه قد صرّح بأن أبا تمام بلغ الغاية في المحاسن وكذلك المساوئ، مع أنه قد ذكر تعليقات قاسية شديدة خالية من التفسير.

4- كان حكم ابن المعتز على أبي تمام قاسيا وذلك حين يلتزم بمعايير الثقافة النقدية الموجودة في عصره، وعندما تتحرك شاعريته يعترف لأبي تمام بالإجادة في أكثر شعره!

وترى الباحثة أن ابن المعتز في نقده لسرقات أبي تمام كان أقرب إلى الموضوعية من الانحياز ضد أبي تمام والتجني عليه، وإن كان يستخدم بعض العبارات التي فيها شيء من القسوة على أبي تمام، فهو ممن شهد لأبي تمام بجودة شعره عامة.

---

[57] – شعر أبي تمام بين النقد القديم ورؤية النقد الجديد، ٦٤.

ولعل قول ابن المعتز في أبي تمام:" أكثر ماله جيد" عبارة كفيلة بأن تبين لنا موقفه من سرقات أبي تمام، وإن كان الحديث عن شعره بشكل عام، فلا يخفى من أن السرقات داخلة ضمن شعره!

الخاتمة:

وفي نهاية البحث يمكن وضع أهم النتائج التي توصل إليها، وهي:

- اتخذ الصولي منهجا نقديا في الحكم على سرقات الشعراء عامة وسرقات أبي تمام خاصة، وهو أن الشاعر متى ما أخذ معنى من غيره، ووشحه ببديعه، وزاد عليه، كان أحق به، وفي سرقات أبي تمام نراه قد طبق هذا المنهج من خلال مقارنة المعاني، والحكم بالجودة لأحدهما، وقد ركز على المعنى دون اللفظ في سرقات أبي تمام التي أوردها، وفي كثير من المواضع يترك القصائد المسروقة دون تعليق، ويكتفي بقول أخذه من فلان.
- أجمع الدارسون المحدثون على أن الصولي كان منحازا لأبي تمام في سرقاته، ومن أدلتهم على ذلك عبارات الصولي اللينة التي كان يطلقها في الحكم على سرقات أبي تمام.
- وضع ابن المعتز منهجا نقديا يسير عليه السرقات فهو لا يعذر الشاعر في سرقاته حتى يزيد في إضاءة المعنى، أو أن يأتي بأجزل من الكلام الأول، أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه، ولا يفتضح به، وينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه لا فقير إليه، ونراه في نقده لسرقات أبي تمام يركز على المعنى دون اللفظ، ونادرا جدا ماكان يقارن ويبين أي البيتين أفضل، وفي كثير من المواضع كان يكتفي بأن بالقول إن المعنى مسروق دون أن يعلل أو يفسر أو يقارن .
- اختلفت آراء الدارسين المحدثين في موقف ابن المعتز من سرقات أبي تمام، فبعضهم يرى أنه كان موضوعيا، وبعضهم يرى أن هذه الموضوعية مدّعاة ، وبعضهم يرى أنه تجنى على أبي تمام وكان متحاملا عليه، في حين رأى غيرهم أنه كان في تجنيه ملتزما بالمعايير الثقافية الموجودة في عصره، ولكن عندما تتحرك شاعريته يعترف بالإجادة لأبي تمام.

المصادر والمراجع:

- ابن المعتز العباسي، لأحمد كمال زكي، المؤسسة العامة المصرية،1964م.
- ابن المعتز: شعره في ضوء عصره وحياته وآرائه النقدية، نعيم كساب، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين،(د.ت).
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه إبراهيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، والنشر 1937م.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، إحسان عباس، بيروت، لبنان، دار الثقافة، 1983.
- جدلية التاريخ والنقد حول أبي تمام وشعره، ياسر عبد الحسيب رضوان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.
- الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام: تاريخها وتطورها وأثرها في النقد العربي، محمود الربداوي، دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر، 1967.
- أخبار أبي تمام، لأبي بكر الصولي، وبأوله رسالة الصولي إلى مزاحم بن فاتك في تأليف أخبار أبي تمام وشعره، حققه وعلق عليه: خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، نظير الإسلام الهندي، قدم له الدكتور أحمد أمين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1400هـ 1980م.
- رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه، عبد الله بن المعتز، جمع وتحقيق: عبد الكريم الحبيب، (د.ت).
- عيار الشعر، ابن طبا طبا العلوي، طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية بالقاهرة، (د.ت).
- قراءة التراث النقدي، جابر عصفور، مؤسسة عيبال، قبرص، الطبعة الأولى، 1991م.
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، للآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، وعبد الله المحارب، دار المعارف، مكتبة الخانجي، 1994م.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، للمرزباني، القاهرة، جمعية نشر الكتب العربية، (د.ت).

- النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، بيروت، لبنان، دار الجيل، 1975.
- النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، مكتبة النهضة المصرية، سنة 1948م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط1، 2006م.

الرسائل العلمية:

- شعر أبي تمام بين النقد القديم ورؤية النقد الجديد، سعيد مصلح السريحي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، إشراف الأستاذ الدكتور: لطفي عبد البديع، جامعة أم القرى، 1402هـ.

المجلات العلمية:

– الأبعاد النظرية لقضية السرقات الشعرية وتطبيقاتها في النقد العربي القديم، محمد مصطفى هدارة، مجلة فصول، مجلد6، العدد 1،2، 1985م.

– الغموض والإبهام في شعر أبي تمام، سعيد شيباني، مجلة العلوم الإنسانية، العدد (4) 35–43، 2002 م، 1425هـ.